محاضرة رقم 01:

مدخل إلى الاضطرابات السايكوسوماتية

مقدمة: تعتبر ظاهرة انتشار الاضطرابات النفسية و السلوكية و العقلية و السيكوسوماتية من الظواهر الهامة و البارزة في حياتنا اليومية و الاجتماعية ، و مما لاشك فيه أن انتشار مثل هذه الظواهر يشكل خطرا كبيرا على حياة الأفراد و المجتمعات يؤدي بهم إلى العديد من المشكلات الصحية و النفسية و العقلية و الاجتماعية ، كما يؤدي أيضا إلى هدر القدرات و تشتت الإمكانات ، و قد أكدت معظم الدراسات أن هذا النوع من الاضطرابات (النفسية و العقلية و السلوكية) لا يقل أهمية و خطورة عن باقي الأمراض ، بل تتجاوز هذه الأهمية باقي الأمراض العضوية المنتشرة ، و ذلك لأسباب عديدة نذكر منها ما يلي:

-اختلاف هذه الأمراض النفسية من حيث أعراضها و أسبابها و طرق علاجها عن باقي الأمراض العضوية.

-جهل الأفراد بهذه الأمراض و بخطورتها و إهمال العلاج اللازم لها.

-صعوبة عمليتي التشخيص و العلاج لان ذلك يتطلب من الأخصائي أدوات معينة و خبرة عالية و جهدا طويلا.

-قد تؤدي هذه الاضطرابات إلى حالات خطيرة مفجعة و مفاجئة .

-الأثر الذي تتركه هده الأمراض في النواحي التشخيصية و العقلية و العضوية قد يكون كبيرا و يستمر مدى الحياة[1].

1- مفهوم الاضطرابات السايكوسوماتية او الاضطرابات النفسجسمية:

على الرغم من أن مصطلح الاضطرابات النفسجسمية اصح متداولا في المجال الطبي و النفسي ، يبد أنه لا يوجد اتفاق حول تحديد مجال هذه الاضطرابات ، مما دعا لجنة خبراء الصحة العقلية التابعة لمنظمة الصحة العقلية أن

[1]-الامراض العصابية و الذهانية ، ص 08.

تخصص اجتماعا في سنة 1964 لمناقشة هذا المفهوم و محاولة ايضاحه ، و تقويم المعلومات الموجودة فيما يخص الاسباب و الوقاية و العلاج.

و ما يجب ملاحظته أن مصطلح النفسجسمي يمكن استعماله لتدليل على هذه الفئة من الاضطرابات التي تولدت عن صراع بين أولئك الذين يصرون على أن العوامل النفسية الأثرا لأكبر في الاضطراب و بين الذين يؤكدون دور العوامل الجسمانية في المرض مثل (Jscobi) الذي فهو لنا مفهوم الجسمنفسي بدلا من النفسيجسمي.

ماذا نقصد بالمرض النفسيجسمي ؟ و كيف يعرف هذا المصطلح في دوائر المعارف و الموسوعات العلمية؟.

المرض النفسجسمي هو مرض له أسباب انفعالية و هو غير مظاهر العصاب مثل القلق و الاكتئاب ، فهذه تزول تماما بعلاج الحالة الانفعالية أما المرض النفسجسمي فله أعراض جسدية و إن كانت بعض أسبابه أو كلها نفسية و تتأثر صحة الجسم بالحالة الانفعالية ، و هذا معروف للأطباء من زمن بعيد ، و لكن لم يثبت ذلك علميا لم يعم إلا حديثا ، فكما يسبب مرض الجسم الاكتئاب ، فإن الإرهاق العصبي يؤثر في وظائف أعضاء الجسم المختلفة ، و يبدو أنلتأثر الجسم بالحالة الانفعاليةأصل وراثي.

2–لمحة حول مفهوم السيكوسوماتية :

ظهرت كلمة السيكوسوماتية لأول مرة من طرف Heinroth في 1818، ومنذ ذلك الحين ظهرت اتجاهات وتفسيرات عديدة حول هذا المجال إلا أن هذه التفسيرات والاتجاهات قائمة على مبدأ أساس واحد هو

التجزئة بين النفس والجسد، وقد بدأ اهتمام أطباء معاصرون بإعادة النظر في الأسلوب الطبي العادي والنظرة التشريحية والبيولوجية البحتة للمريض نفسه، وبدأ يظهر اتجاه جديد في الطب المعاصر يدعي عن الاتجاه الكلي وغايته النظرة الشاملة للإنسان المريض من خلال بيئته ومرضه .

فمصطلح السيكوسوماتية مكون من لفظين : سيكو (نفس) وسوما (جسد) إذ أن هذا المصطلح قديم قدم الطب نفسه، فهو يرجع إلى فرضية وجود علاقة بين الروح وأمراض الجسد. (بوسنة محمود و آخرون ،1998،ص ص 174-175).

- وهناك نظرية ترى أن الجسم والروح وحدتين لهما تأثير متبادل ومن ممثليها (ديكارت)، وتمثل بدورها شكل الترابطية .
- وهناك نظرية يمثلها (لايبينز Lebinz) ترى إن الجسم والروح مستقلين في عملهما الواحد عن الآخر، والشكل الممثل من طرفهما هو " التوازي " .
- وفي الأخير الشكل " السيكوفيزيقي " ممثل من نظرية تنص على أن الجسم والروح هما مظهرين مختلفين عن الإنسان، ممثلهما (فونت) .
- وعموما ففي العصور القديمة سادت فكرة العلاج بالسحر ولكن شفاء المرضى بهذه الطريقة دعم فرضية تأثير الجانب النفسي على الجسم وفي العصر الروماني اليوناني قام جدال بين حركتين :
- مدرسة COS والتي يمثلها هيبوقراط Hypocrates وكان اتجاهها ديناميكيا تدرس الإنسان ككل متكامل واهتمت بالحالة المزاجية للمريض فقد بين هيبوقراط أن تغيرات المزاج تخضع لقوانين زمنية ومكانية، وحسب هذه المدرسة، فإن المرض هو عبارة عن اختلال في التوازن يجب الامتثال إلى قوانين الطبيعة، أي محاولة التكيف قدر المستطاع، كما أعطت أهمية كبرى للتاريخ الشخصي للمريض وللعلاقة الإنسانية بينه وبين المعالج .

والحدث الذي سجل في التاريخ والذي كان له الدور الايجابي في سيادة الطب النفسي الجسدي من جديد هو ثورة (Sigmund freud) في التحليل النفسي فقد ركز هذا الأخير على الشخصية بأكملها وعلى معنى العرض العصابي فيقول : " ليس بإمكاننا تفهم الكيان التحليلي كالحجم الإنساني إلا إذا ربطناه بفكرة الشخصية والاحتياجات التي تخضع لها هذه الشخصية، فهذه الحاجات الحيوية لا تكون مرضية إلا إذا تم ترابط منسجم لكل أجزاء الجسم " .

وقد تمكن (Heinroth) عام 1818 من وضع مصطلح (psycho-somatique) لأول مرة لإبراز تفوق العوامل النفسية، وقد كان هذا الاكتشاف كرد على اتجاه مساندي النظرية العضوية .

ولقد أكد هذا المصطلح من طرف Deutch عام 1922 وادخل إلى فرنسا عام 1946 من طرف Delay .

وانطلاقا من هذا بدأت الأبحاث الخاصة بالسيكوسوماتية في كل من الولايات المتحدة وروسيا، ألمانيا وفرنسا .. حيث عمل الباحثون في كل من هذه البلدان على توضيح ملامح الشخصية ذات الاستعداد للإصابة بالمرض السيكوسوماتي .

ففي أمريكا أخصبت أعمال E.Dunbay عام 1943 على مقارنة نمطين من الشخصية ويحسبها كل نمط مهيأ للإصابة بمرض سيكوسوماتي معين .

العامل النفسي وهو العامل الفعال والمباشر وقد يكون بشكل صدمات حادة غير متوقعة أو أنباء مذهلة (قتل، موت، كوارث مفاجئة، حوادث مرور)، أو إهانة ثقيلة لا تغتفر أو ظروف شديدة من الحرمان والاتكال، فالباحثة (Deutch) تقول أن العضو المصاب كان قد تعرض إلى أذى نفسي منذ الطفولة فأصبح موضع انفعال وإصابة العضو والعالم (Alexander 1941) يقول أن المرض النفسجسمي هو نتيجة صراع سيكودينامي يجعل من كل عقدة معينة مرتبطة بمرض معين :

1. عقدة الاتكال تولد الفرحة المعدية، وعقدة الفراق عن الأم تولد الربو وهكذا.
2. وجود ضعف تكويني في ذلك العضو يساعد على ظهور ضرر فيه .
3. يقول (أدلر) أن ضعف أحد أجهزة الجسم قد يكون شعورا بالنقص أو شعور بالوضاعة .
4. الأمراض السابقة لعضو معين قد تساعد على تكرار الإصابة به في الشدائد النفسية .
5. إصابة أحد الأفراد من العائلة بمرض جسمي يساعد على إصابة نفس العضو عند شخص آخر .
6. طبيعة الشدة النفسية تتعلق بنوعية الأضرار الجسمية التي حدثها .
7. لابد من ربح شخصي أو نفع ثانوي لذلك المريض في بعض الحالات، فالمصاب بالإكزيما مثلا يتخلص من بعض المهمات والأعمال . (بوسنة محمود و آخرون ،1998،ص ص177-181).

8. لتحديد أهمية كل عامل من العوامل السابقة يجب معرفة شخصية المريض وحياته وغالبا ما نجد عنصرا مشتركا هو النضج العاطفي أو التخوف من المسؤولية أو الكبت الشديد، هذا يعني أن هناك طراز من الشخصية معرض للإصابة بالمرض النفسجسمي، وهي ما سماها بعض الباحثين بالشخصية النفسجسمية .